INSTITUTE FOR INTEGRATED TRANSITIONS

مؤسسة دعم الانتقال المتكامل

ما وراء القصة الواحدة: إثراء السرديات من أجل السلام

نوفمبر 2023

إن السرديات مفتاحٌ لتعزيز السلام ومعالجة الاستقطاب على نطاق واسع في البلدان الهشَّة والمتأثرة بالصراعات. ونظرًا لأن السرديات تشكِّل طريقة فهمنا لأنفسنا داخل المجتمع، وكيفية التحرُّك للعمل عند اندلاع الصراعات، فإن إستراتيجيات السرد وأدواته جزءٌ لا يتجزأ من بناء السلام.

في تحدٍ لوجهة النظر التي تقول إن تشجيع السرد الموحَّد سبيلٌ لمعالجة الصراعات، تدعو مؤسسة دعم الانتقال المتكامل (IFIT) إلى تعزيز الوعي المجتمعي بديناميكيّات السرد، وبتغيير سرديات الصراعات من الداخل، فضلًا عن تعظيم القصص الأقل شهرة لتشجيع التفاعل السلمي.

استنادًا إلى المشاورات التي أُجريت مع خبراء مؤسسة دعم الانتقال المتكامل، ومجموعة ممارسة السرديات الشاملة (Inclusive Narratives Practice Group)، ومجتمع كبير من الخبراء المتخصصين، يُقدِّم منهجنا السردي إرشادات مستوحاة من التجارب العملية لدعم المجموعات التي تعمل من أجل السلام، بما في ذلك المجتمع المدني وصانعي السياسات والجهات المانحة

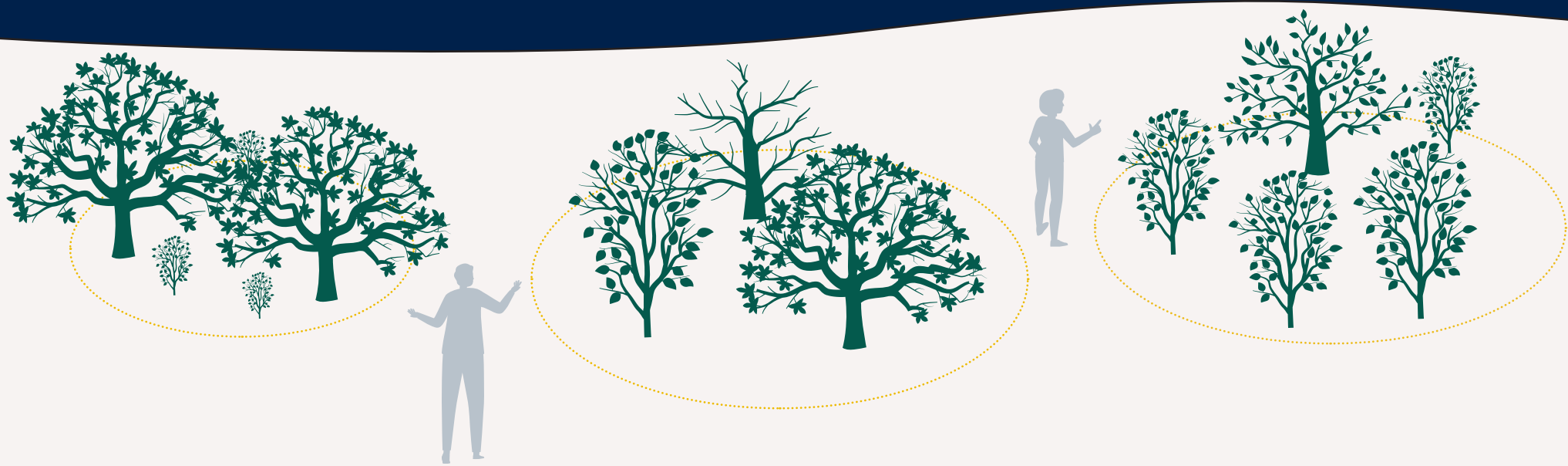

ما سـبب أهميـة السـرديات لتعزيز السـلام؟

السرديات هي مجموعات قصصية تُشكِّل كيفية فهمنا لأنفسنا وعلاقتنا بجماعتنا الاجتماعية وبالآخرين. فهي تؤثر في كيفية تحفيزنا للعمل؛ ولهذا السبب فهي أساسية لكيفية إدارتنا للصراعات التي قد تندلع في أي مجتمع أو نظام سياسي.

في حالة عدم التصدّي لتلك المظالم الجماعية، فإنها تزعزع الثقة الاجتماعية والمؤسسات؛ مما يُعمِّق الانقسامات ويحفِّز العنف كرد فعل. وتوفِّر السرديات بدورها البنية الأخلاقية التي تبرِّر تصرفات الناس في مثل هذه السياقات، إمّا نحو التفاعل الإيجابي حول مظالمهم، أو نحو الاستقطاب الذي يؤدي نحو العنف في نهاية المطاف.

على الصعيد الوطني، تميل الصراعات إلى الاندلاع بسبب المظالم الجماعية التي تضرب بجذورها في عناصر بنيويَّة، كالموروثات التاريخية والأوضاع الاقتصادية. وقد تضرِب بجذورها أيضًا في حقائق مؤسسية، مثل درجة شمولية أجهزة الدولة، ومدى استغلال النُخَب لها.

دمج السرديات في جهود بناء السلام بإمكانه أن يتيح مسارات نحو هذا السلام.

كيف تُساهِم السرديات في تصاعد الاستقطاب؟

تُحيط بنا السرديات من كل مكان، وتَصِف عالمنا وتُشكله. وباتت الكثير منها أمرًا طبيعيًا ومبطناً داخل عقولنا، بحيث لا يمكننا معرفة مدى تأثيرها على آرائنا، وتشكيل خياراتنا وأفعالنا. ولرؤية أكثر وضوحًا لتلك السرديات، يمكن تصورها وكأنها أشجار تشكِّل جزءًا من "مشهد سردي" أكبر، سواء كان مجتمعيًا أو وطنيًا.

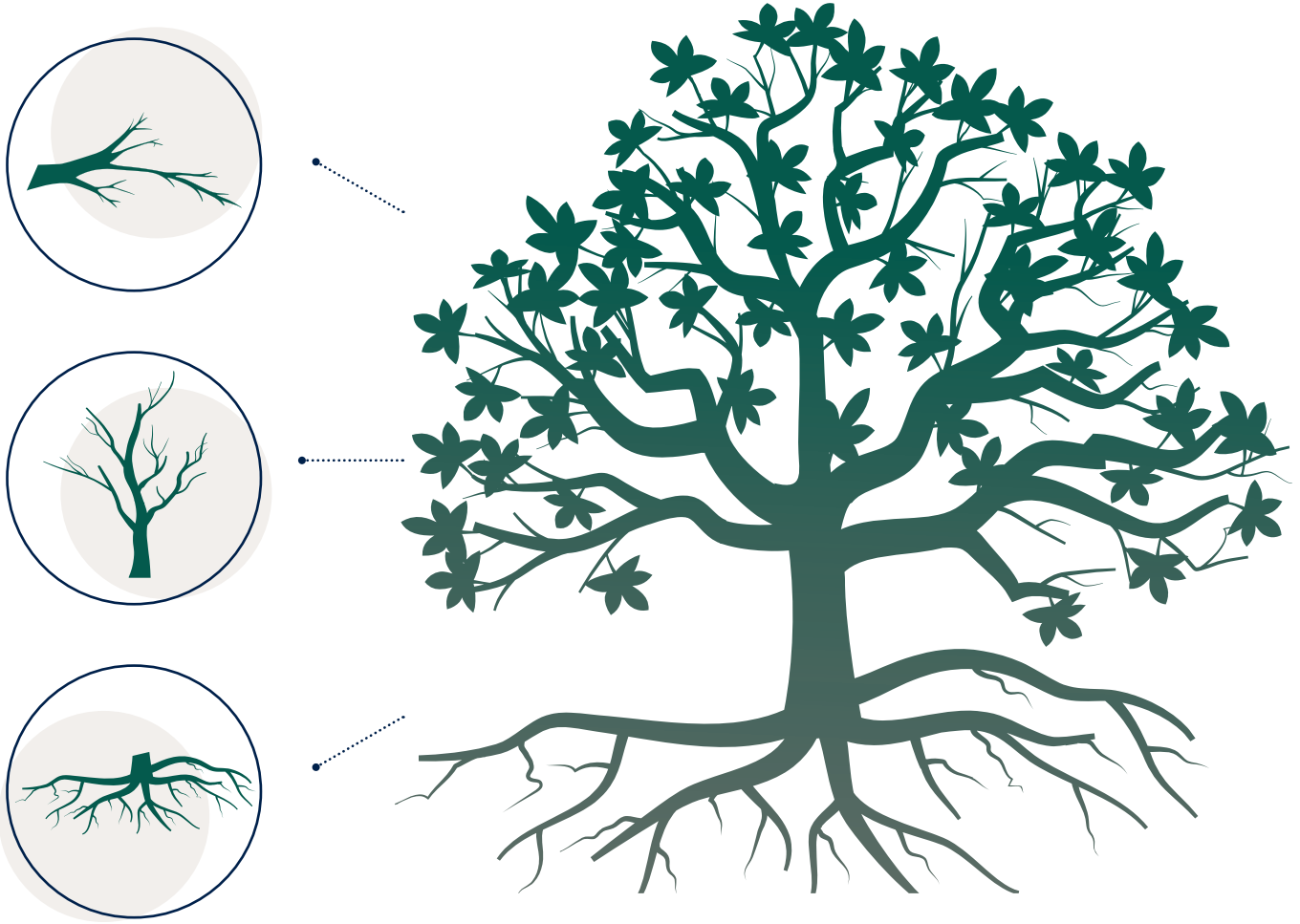

وتمثِّل فروع الشجرة السياسات والأفعال وغيرها من النتائج التي تنمو من جِذع الشجرة.

ويمثِّل جذع الشجرة السردية الواضحة التي تكوَّنت من الجذور المشتركة، والتي تبرر أفعال الناس.

تتشكَّل جذور كل "شجرة سردية" من الحقائق والأحداث والقصص الأسطورية عن الماضي الجماعي. وتنمو تلك الجذور من التربة الهيكلية والمؤسسية لكل مجتمع مما يرسِّخ هويات الناس.

في المجتمعات التي تُدير الصراعات بطريقة بنّاءة، يبدو المشهد السردي وكأنه غابة "مختلطة" بأنواع مختلفة من الأشجار السردية التي تنمو معًا. ويتضمن المشهد كثيرًا من السرديات المتنوعة التي تُسلِّط الضوء على كم التعقيد للفئات الاجتماعية، والصراعات التي تندلع فيما بينها اندلاعًا طبيعيًا

تسمَح هذه المشاهِد السردية المتنوعة بصحة المظالم والقيم الأخلاقية للمجموعات المختلفة، وتُشجِّع الناس على النظر إلى الآخرين كجهات فاعلة شرعية، وعلى مشاركة المسؤولية عن كيفية إدارة النزاع.

على النقيض من ذلك، وفي المجتمعات شديدة الاستقطاب، يميل عدد صغير من الأشجار السردية إلى السيطرة على المشهد؛ مما يطغى على الأشجار الأخرى ويحجبها. هذه السرديات المهيمنة — التي غالبًا ما تروِّج لها الجهات الفاعلة المؤثرة لتعزيز أهدافها الخاصة — تقلل من التعقيدات الاجتماعية إلى قصص بسيطة تُعزِّز الصورة الذاتية، والتي تشجع على شرعنة مظالم مجموعة ما بالتزامن مع تصوير الآخرين على أنهم أشرار.

في هذه البيئة والتي هي بيئة "نحن وهم"، تتفوَّق الآراء المتطرفة على الآراء المعتدِلة تحت الأضواء؛ ومن ثم يزداد الاستقطاب. ويحدث ذلك عندما يستوعب عدد متزايد من الأشخاص السرديات المثيرة للانقسام ويكررونها ويسهبون فيها داخل شبكاتهم ومن خلالها، وعلى منصات وسائل التواصل الاجتماعي التقليدية والاجتماعية

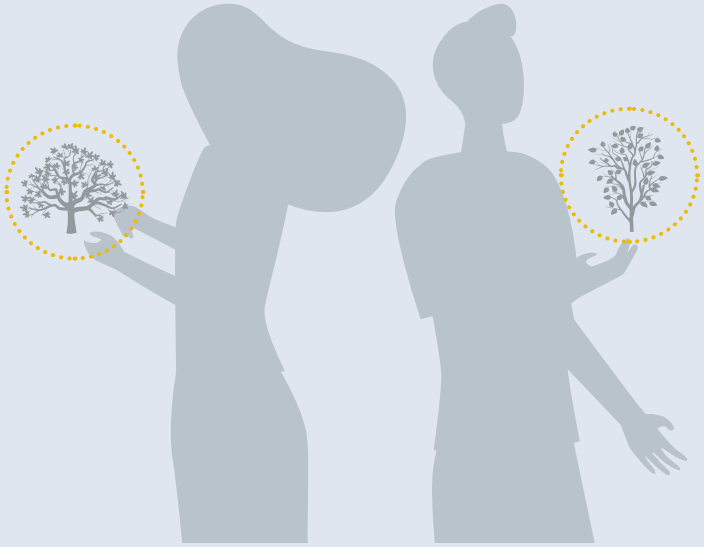

بمرور الوقت، تبدأ أشجار السرد المهيمنة تبدو وكأنها السبيل الوحيد لوصف ما يحدث في السياسة والمجتمع. وتصبح الجذوع ضخمة لدرجة أنها تُعيق أشجار السرد الأخرى من التأسيس، وجامدة جدًا بحيث تقاوِم أي تحدٍ. ويمكن أن تؤدّي محاولات مهاجمتهم أو هزيمتهم بسردٍ جديد من الخارج إلى رد فعل عنيف أو قمع أو عنف.

إثراء السرديات من أجل السلام

كجزء أساسي من جهود بناء السلام على نطاق واسع, يمكن أن تساعد ثلاث إستراتيجيات في إثراء المشاهد السردية الوطنية:

إذكاء وعي الناس بكيفية تشكيل السرديات لنا ولنظرتنا للعالم وطرق تعاملنا مع الصراع.

زيادة ظهور العديد من الأشجار الصغيرة في المشهد السردي لتعكِس تعقيد المجتمع وترابطه على نحو أفضَل.

العمل مع الناس لتحويل السرديات من الداخل، وتجنُّب الجذوع الصلبة، والتركيز على الجذور والفروع الأكثر مرونة.

بناءً على الممارسات والموارد الحالية في سياقها، يمكن للقادة المحليين خلق مساحات وتطوير عمليات للناس بهدف التفكير في سردياتهم وفي سرديات الآخرين. ومع تجنُّب الجذوع الصلبة، يمكنهم مساعدة الناس على تحديد الجذور التي تُغذي السرديات المثيرة للانقسام، وطرح "محاليق" سردية جديدة قد تغيِّر شكل الأشجار الحالية، مع تعزيز نمو المزيد من الأشجار. وبالمثل، يمكنهم " تقليم" الفروع الحالية، مع تشجيع نمو سياسات جديدة ونتائج أخرى.

تعمل أدوات السرد — مثل الطرح التدريجي للمعلومات، والإسناد الإيجابي، والاستفهام الدوري — على زعزعة استقرار السرديات الجامدة، من خلال طرح قيم جديدة أو مختلفة (رمادية، وليست "بيضاء وسوداء")؛ وشخصيات جديدة (خلاف الأبطال والأشرار)؛ ونقاط جديدة للحبكة تُعطّل السرد الرئيسي. فهي تمكِّن الناس من رؤية الآخرين بشرعيتهم، وقبول المسؤولية المشتركة عن النزاعات، واكتساب الشعور بالقدرة لمعالجتها على نحو بناء.

يمكن الإسهاب في التحولات السردية التي أحدثتها هذه العمليات عن طريق وسائل الإعلام، ونشرها عبر الشبكات الفردية؛ ومن ثم إثراء المشهد السردي الوطني، وتعزيز قدرة الناس على الرؤية عبر القوى المحركة للسرد، والتعامل مع القضايا التي تُحرِّك الصراعات.

لا يتحقق السلام الدائم من فرض سردية واحدة ومن رواية الجميع للقصة نفسها — لكنّه يتحقق في مجتمعات يتم فيها تشجيع العديد من السرديات المعقدة والمتنوعة على الازدهار معًا.

لمزيد من المعلومات المتعمقة والإرشادات العملية حول هذا النهج — بما في ذلك المنشورات الرئيسية، ومقاطع الفيديو، ومجموعات الأدوات، وموجزات الممارسة، والمزيد — يُرجى زيارة مركز السرد من أجل بناء السلام (**Narrative Peacebuilding Hub**).